كلية العلوم الإسلامية قسم العقيدة والدعوة والفكر

المحاضر : أ.د. إبراهيم رجب عبدالله

المرحلة : الثالثة الفصل الثاني

اسم المادة: بإنجليزي : Islamic philosophy

اسم المادة بالعربي : فلسفة إسلامية

اسم المحاضرة بالانجليزي Philosophy and religion

اسم المحاضرة بالعربي: الفلسفة والشريعة :

مصدر المحاضرة : ملخص من كتاب الفلسفة الإسلامية . نظلة الجبوري و كتاب الفلسفة العربية جميل صليبا.

المحاضرة الثالثة

الفلسفة والشريعة :

من اهم مميزات الفلسفة الاسلامية او فلسفة العصور الوسطى بصورة عامة ، معالجتها مسألة علاقة الفلسفة بالشريعة ، فالفلسفة تعتمد النظر العقلي للوصول الى الحقائق ، بينما الدين او الشريعة عقيدة واحكام موحاة تستوجب التصديق والايمان بكل ما هو خارج نطاق العقل والطبيعة من غيبيات ومعجزات وامور غير خاضعة للتجربة والبرهان .

وقد اختلفت إجابات وقناعات الفلاسفة والمفكرون في هذه المسألة فمنهم من عد الشريعة ضرورة لا بد منها للعوام بينما الفلسفة للخاصة فقط، ومنهم من وجد انه لا تعارض بين الدين والفلسفة اصلاً، فالعقل والوحي هما من مصدر واحد هو الله تعالى ومن المحال ان يكونا متعارضين ،بل ان العقل يجد له في الوحي ما يسنده ويعينه، فالفلسفة الحق والدين الحق ليس في اساسهما الاشياء واحداً،

وهناك فئة رأت ان مصادر الفلسفة والدين مختلفة ، وكلاهما حق ، ولكن لكل منهما اتجاهه وميدانه الخاص به، فرأت ميدان الفلسفة العلوم الطبيعية والمنطقية والرياضية والاستدلال لمعرفة الخالق ، اما ميدان الشريعة فهو علوم الوحي التي لا نستطيع الاستدلال عليها عقلياً لأنها خارج نطاق العقل والمنطق والطبيعة .

وازاء هذه الاتجاهات الفلسفية المختلفة في نظرياتها للشريعة كان من الطبيعي ايضاً ان تقابلها اتجاهات وتيارات فكرية اسلامية تختلف في نظرتها للفلسفة وتتراوح من الاباحة الى التحريم والتكفير .

ونستطيع القول ان تخوف وتحرج الفقهاء وعلماء الدين من الخوض في مواضيع لم يتطرق أليها الصحابة في زمن النبي (صل الله عليه وسلم) وهو الذي دفع بعضهم الى رفض العلوم الفلسفية كون الفلسفة في نظرهم تتطرق الى موضوع الذات الالهية والصفات عن طريق الاستدلال العقلي ولا تأبه للنصوص الدينية في ذلك الموضوع او تحاول ان تأول هذه المواضيع بما لا يتناسب مع الشرع .

والجواب على ذلك نقول : ان الفلسفة لا تقتصر على هذا الموضوع او هذا المبحث (مبحث الالهيات) او ما يسمى بالفلسفة الاولى ، فالفلسفة بمفهومها الواسع تشمل كل

نظر ومنهج عقلي وتجريبي يطبق في العلوم كافة ، كما انها كانت تشمل جميع العلوم والمعارف في ذلك العصر من طبيعية ورياضية وسياسية واجتماعية وأخلاقية ..الخ

ولا نجد احد من علماء الدين والفقهاء يقف موقف الضد من هذه العلوم بل على العكس نجدهم يشجعون على(التبحر) فيها لا بل ان من هذه العلوم تدخل في ضمن فرض الكفاية ، ولا نغالي اذا قلنا ان كبار الفقهاء هم انفسهم كانوا فلاسفة في اجتهاداتهم وقياساتهم واستنباطاتهم الفقهية ، وذلك لأنه يستوجب فضلا عن معرفتهم وتدبرهم وتبحرهم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واتقانهم لعلوم اللغة العربية والعلوم الشرعية كافة، نقول يستوجب ان يكونوا على اطلاع دقيق في قضايا عصرهم التي يصدرون بشأنها الفتاوى ، لذلك نجد ان من لم يكن له اطلاع دقيق في موضوع الفتوى يمتنع عنها او يدرسها دراسة وافية او يسأل عنها من هو مختص فيها .

وعلى هذا الاساس فإن اغلبهم كانوا علماء فلاسفة في اللغة وفي الاجتماع والاخلاق والنفس البشرية وفي التاريخ والسياسة والاقتصاد، لا بل حتى بعضهم كان عالما في الرياضيات والفلك.....الخ .

كما انهم استعملوا المنهج التجريبي والعقلي في استنباط قضاياهم، وما اختلافهم في اجتهاداتهم إلا دليل على استعمالهم للعقل كمنطلق للنظر في القضايا التي تستند الى نص ديني او ربما استندت الى نص يحتمل التأويل – والتأويل هو نظر عقلي ، والنظر العقلي هو من اهم مقومات الفلسفة .

فعلى سبيل المثال نجد ان مؤلفات **(ابي حنيفة النعمان)** تدل على استعماله النظر العقلي الفلسفي اذ صنف في علم التوحيد والصفات الالهية في كتابة (الفقه الاكبر) وهو من المباحث الفلسفية – كما بحث في مسائل الخير والشر والجبر والاختيار ...الخ وكلها مسائل فلسفية بحته، كما انه أعلى من شأن القياس في الفقه، والقياس يعني النظر العقلي لمعرفة العلل ورد الفروع الى الاصول في المسائل الفقهية، كما ان كثير من اجتهاداته كانت تأخذ الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في عصره بنظر الاعتبار .

كما يعد **الامام الشافعي** اول من وجه الدراسات الفقهية الى الناحية العلمية فهو الذي استنبط علم اصول الفقه، ووضع للخلق قانونا كلياً، وتبدو على رسالة الشافعي (الام) مظاهر التفكير الفلسفي في سرد مباحثها وترتيب ابوابها والعناية بضبط الفروع

والجزيئات لقواعد كلية ، ثم يظهر الاتجاه المنطقي في هذه الرسالة من خلال وضع الحدود والتعاريف ، فضلا عن ذلك فأن أسلوبه في الحوار الجدلي المشبع بصور المنطق ومعاينه يبدو كأنه حواراً فلسفياً فلا غرابة اذن ان نجد من يصف الشافعي بالفيلسوف فيقول:(الشافعي فيلسوف في اربعة اشياء ... في اللغة ،....واختلاف الناس .. والمعاني ... والفقه) .

ويعد <u>ابن حزم الفقيه الاندلسي</u> مؤسس المذهب الظاهري في الفقه من الفلاسفة إذ انه دون عشرات الكتب الفلسفية في المنطق والاخلاق والاصول والسياسة والجمال والتاريخ ، كما نجده يحث على النظر العقلي ودراسة المنطق والفلسفة ، ويمدح الفلسفة والفلاسفة فيقول : (ان علوم الاوائل وهي المنطق والفلسفة عند افلاطون، وأرسطو، والاسكندر الافروديسي، وغيرهم هو علم حسن رفيع لأن فيه معرفة العالم بكل ما فيه من اجناسه وانواعه واشخاص جواهره واعراضه ، كما ان الفلسفة والمنطق تنفع في معرفة البراهين التي لا يصح شيء بدونها وهذا علم عظيم ، ولكتب الفلاسفة في الفلك فائدة عظيمة تدل على توحيد الله) .

كما يرى ابن حزم ان لا خلاف بين(الفلسفة والشريعة) لان الهدف منهما واحد وهو اصلاح النفس في استعمال الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها في الاخرة .

<u>والغزالي</u> على الرغم من نقده الفلاسفة في موضوع (الالهيات) الا انه كان فيلسوفاً يدين بآراء فلسفية كثيرة ويحث على دراسة المنطق وألف كتب في المنطق ويرى ان اغلب علوم الفلسفة لا تتعارض مع الشريعة ، كما نجده يحث على النظر العقلي والتأمل الفكري حتى في القضايا الدينية فيقول : (الداعي الى التقليد مع عزل العقل جاهل ، ويشبه من يفعل ذلك من يغمض عينيه اما نور الشمس ويتساءل ما فائدة ذلك النور إذا لم تنظره العين)

ومن جانب اخر نقول ان تحرج علماء الدين ورفض بعضهم لدراسة الفلسفة كونها من العلوم الدخيلة التي لم يبحث في الصحابة – أي موضوع الالهيات والصفات – نقول انها لم تكن ضرورة ملحة لان المسلمين قد استغنوا بالوحي الالهي في زمن النبوة وصدر الاسلام عن النظر العقلي ، ولكن بالابتعاد عن عصر الوحي وظهور المؤثرات (الداخلية والخارجية) التي سبق ان ذكرناها في موضوع "الفلسفة الاسلامية واصالتها

" كان لا بد من ظهور ونشوء النظر العقلي والتبحر في العلوم ، وهي نتيجة طبيعية لتطور ورقي الامم والحضارات ، فكان النظر العقلي والتفلسف ضرورة حتى في موضوع الالهيات وذلك لوجوب الدفاع عن العقيدة أما معتقدات وأراء المجوس والمسيحية واليهودية وغيرها ، اذ ان اصحاب هذه الديانات والمعتقدات قد طرحوا القضايا، (ولم تكن مطروحة في زمن الوحي) مخالفة للدين الاسلامي وتحدوا المسلمين للإجابة عنها فكان لا بد لمفكري الاسلام وفلاسفتهم ان يدافعوا عن عقيدتهم امام التثليث المسيحي والتجسيم اليهودي والثنوية في الديانات الشرقية ، فبرز الكثير منهم وأسست مدارس فكرية كلامية وفلسفية مثل المعتزلة والاشاعرة والماتريدية والنسفية والطحاوية ...الخ التي استخدمت العقل للدفاع عن العقيدة الاسلامية .

واخيرا نقول ان الحضارة الاسلامية بلغت اوج عظمتها وتقدمها ورقيها عندما شجعت على دراسة العلوم التطبيقية والرياضية والانسانية كافة ودافعت فلسفياً عن العقيدة الاسلامية اما الديانات الاخرى

– فكان سبب انتشار الاسلام في بلدان كثيرة - وقد كانت اوربا في ذلك العصر قابعة في دياجير الظلام والتخلف .

وانقلبت الصورة عندما تراجع العرب وتوقفوا عن البحث والنظر في العلوم والمعارف بسبب الظروف السياسية وتكالب الهجمات العسكرية ضدها ، واخذت الامم الاوربية بترجمة كتب العرب في الطب والرياضيات والكيمياء والميكانيك والفلسفة والمنطق وعلم الكلام واستفادوا منها وأضافوا اليها حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه اليوم من تقدم ورقي في التكنلوجيا والعلوم .